مرتكزات خطاب الإمام محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – التحرري في مواجهة المد الاستعماري (دراسة تحليلية)

The Characteristics of Sheikh Muhammad Bashir Al-Ibrhimi's Discourse to Face the Colonial Cultural Speech; a descriptive analytic Study

د. محمد جبر السيد عبد الله جميل
جامعة المدينة العالمية، فرع القاهرة (مصر)
muhammad.gameel22@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/08/12 **تاريخ القبول:** 2022/09/30

ملخص:

استهدفت الدراسة الحالية تجلية مرتكزات الخطاب التحرري للإمام محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – في مواجهة المد الاستعماري في ضوء آثاره. واستندت الدراسة إلى المنهج الوصفي. واعتمدت في إطار ذلك على الأسلوب التحليلي. وتمثلت أداة الدراسة في مسح الأدبيات المتعلقة بموضوع الدراسة. وأسفرت الدراسة عن العديد من النتائج أبرزها أنّ الخطاب التحرري الذي يستند إليه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – في مواجهة المد الاستعماريَ يقوم على مرتكزين هما: الجهاد الأكبر هو مرتكز الجهاد الأصغر، والإيمان هو مرتكز النصر. وبناءً على ما أسفر عنه البحث من نتائج، توصي الدراسة بالآتي: تبصير المسلمين بتعاليم دينهم من خلال دروس وحلقات الوعظ والإرشاد بالمساجد، والقنوات الدعوية – إدراج العلوم الشرعية في جميع المؤسسات التعليمية على اختلاف مراحلها، وتخصاصاتها، وإعطائها الصدارة والأولوية على غيرها من العلوم – صياغة المنظومة التعليمية العسكرية والشرطية أهدافا، ومحتوى، وطرقا، ووسائل وفقا لتعاليم الإسلام – احتساب مدى التزام الطالب والفرد المقاتل بإقامة شعائر دينه ضمن معايير تقييمه، وترقيته.

الكلمات المفتاحية: خطاب الإمام محمد البشير الإبراهيمي، المد الاستعماري.

Abstract:

The study aims at exploring the characteristics of Sheikh Muhammad Bashir Al-Ibrhimi's discourse to face the colonial cultural speech in the light of his writings. The study administered the descriptive analytical approach. A review of literature was conducted. The study came to the findings that the bases that Sheikh Muhammad Bashir Al-Ibrhimi's discourse depend on in his battle to combat the colonial cultural are that the Major Jihad, i.e., struggling against one's vain desires, is the key to the Minor Jihad, i.e., the fight against the non-Muslims, and the Iman, i.e., faith, is the door to victory . The study recommended that first; Muslims ought to be aware of and knowledgeable about Sheikh Muhammad Bashir Al-Ibrhimi's discourse to overcome the colonial cultural wave to deepen their thought of how to effectively deal with neo-colonialism; second, teaching Islam sciences in all educational stages and giving them priority over other sciences; third, formulating the military and policemen educational academy according to Islam teachings; fourth, considering the student soldier's religiousness and well manners as criteria to achievement and promotion.

Keywords: Sheikh Muhammad Bashir Al-Ibrhimi's Discourse, Colonial Cultural Speech .

مقدمة

إنَّ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – يعدّ علما من أعلام الأمة الأبرار الذين نذروا حياتهم لخدمة الأمة، والإسهام في نهضتها. ولم تقتصر جهود الشيخ الإصلاحية على جانب دون جانب، وإنما اشتملت على جوانب عديدة دينية، واجتماعية، وسياسية واقتصادية. ومن أبرز هذه الجهود تلك التي انصبت على الجانب النضالي في مواجهة المد الاستعماري؛ فلم يأل – رحمه الله – في مقاومة الاحتلال بكل ما أوتي من قوة، وبكلّ الوسائل ومن أبرزها جهاده باللسان. فلم يترك محفلا من المحافل إلا وندَّد فيه بلسانه وبقلمه بالاحتلال وسياساته الاستيطانية الخبيثة. إلا أنّ الملاحظ أنّ كتابات الشيخ – رحمه الله – في هذا الجانب لم تلق العناية الكافية من الدرس والتحليل. لذا تسعى الدراسة الحالية لإبراز هذا الجانب المهم والحيوي من المسيرة النضالية للشيخ رحمه الله. وذلك بتسليط الضوء على مرتكزاته في الجهاد ضدّ الاحتلال الكُفري الفرنسي من واقع كتابه الموسوم بـ (**الآثار**)[1].

- **مشكلة الدراسة:**

تتخلص مشكلة الدراسة في التساؤل الآتي: ما المرتكزات التي يستند إليها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – في خطابه التحرري في مواجهة المد الاستعماري؟

- **هدف الدراسة:**

في ضوء التساؤل السابق، فإنّ هدف الدراسة يتمثل في تجلية المرتكزات التي يستند إليها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – في خطابه التحرري في مواجهة المد الاستعماري.

- **أهمية الدراسة:**

تتمثل أهمية الدراسة في جانبين هما:

الجانب الأول: الأهمية النظرية: تتجلى الأهمية النظرية للدراسة في أنها تحاول استكمال الجهود العلمية التى انصبت على تناول الجانب الجهادي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله– بالعرض والتحليل، وذلك في محاولة لإثراء ما كتب في هذا الخصوص.

الجانب الثاني: الأهمية التطبيقية: تتجلي الأهمية التطبيقية للدراسة في أنها تسهم في تبصير أفراد الأمة بمرتكزات الخطاب التحرري في مواجهة المد الاستعماري ووسائله عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله.

- **منهج الدراسة:**

تستند الدراسة إلي المنهج الوصفي، وتستند في إطار ذلك على الأسلوب التحليلي حيث يجري تحليل الخطاب التحرري للشيخ محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – وبيان مرتكزاته في مواجهة المد الاستعماري من واقع كتاباته في هذا الشأن.

- **إجراءات الدراسة:**

تتحدد إجراءات الدراسة في الآتي:

- جمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع الدراسة.
- عزو الآيات القرآنية
- تخريج الأحاديث النبوية والآثار الواردة فى الدراسة.

- توثيق النقول من أقوال العلماء من مصادرها الأصلية وإلا فعزوها إلى المصادر الثانوية إن تعذر ذلك.
- توضيح الألفاظ المبهمة.
- إلحاق فهرس للمراجع.

- **حدود الدراسة:**

تتمثل الحدود الموضوعية للدراسة الحالية في أنها تقتصر على مرتكزات الخطاب التحرري في مواجهة المد الاستعماري ووسائله عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله.

- **مصطلح الدراسة**

– **الجهاد:** الجهاد لغة مأخوذ من الجَهْد وهو التَّعَب، وبَذْلُ الوُسْع. يقال: جاهدَ في سبيل الله مجاهدةً، وجِهادا، والاجتهاد، والتجاهد: بَذل الوُسْعِ والطاقة[2]. والجهاد المبالغة في إتعاب الأنفس في ذات الله تعالى. فكلّ من أتعب نفسه في ذات الله تعالى فقد جاهد في سبيله[3]. والجهاد في الشرع: "قتالُ مسلمٍ كافرًا غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى، أو حُصُوره[4]، له، أو دخوله أرضه"[5]. فوفقا لهذا التعريف، فإنَّ الغرض من الجهاد في الإسلام هو إعلاء كلمة الإسلام في الأرض، والذَّوْد عن ديار المسلمين[6]؛ أي: أنّ الجهاد بمعنى القتال ينقسم – في الإسلام – من حيث الغرض منه إلى نوعين هما:

– **النوع الأول: جهاد الطلب**: هو الغزو في سبيل الله تعالى نصرة لدينه حتى يكون الدين كله لله.

– **النوع الثاني: جهاد الدفع**: هو الدفاع عن المسلمين ورد كل من تسول له نفسه العدوان على ديارهم.

والجهاد بمعنى القتال يسمى الجهاد الأصغر، وهو المفهوم الضيق للجهاد. أما الجهاد بمفهومه الواسع فيسمى بالجهاد الأكبر[7]. وهذا الجهاد؛ أي: الجهاد الأكبر أو الجهاد بمفهومه الواسع، ينقسم – من حيث الوسيلة – إلى أربعة أقسام هي:

- **القسم الأول: جهاد بالقلب:** جهاد القلب هو أن يجاهد الشيطان، والنفس عن الشهوات المحرَّمات.
- **القسم الثاني: جهاد باللسان:** جهاد اللسان هو أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.
- **القسم الثالث: جهاد باليد:** جهاد اليد هو أن يَزْجُر ذوو الأمر أهلَ المَنَاكر عن المنكر بالأدب والضرب، ومن ذلك إقامتهم الحدود.
- **القسم الرابع: جهاد بالسيف:** جهاد السيف هو قتال المشركين على الدين؛ أي: لتكون كلمة الله هي العليا[8].

إلا أنّ الجهاد إذا أُطلق لا يقع إلا على مُجاهدة الكفار بالسيف. "وفي تسميته جهادا تأويلان: أحدُهما: لأنه يَجْهَدُ في قَهْرِ عَدُوِّه. والثاني: لأنه يَبْذُلُ فيه جَهْدَ نَفْسِهِ"[9].

- **خطة الدراسة:**

تتألف الدراسة من مقدمة، ومطلبين، وخاتمة، وفهرس كالآتي:

المقدمة: تتناول مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، ومنهجها، وإجراءاتها، وحدودها ومصطلحها، وخطة الدراسة.

المطلب الأول: يتناول المرتكز الأول للخطاب التحرري في مواجهة المد الاستعماري ووسائله عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله.

المطلب الثاني: يتناول المرتكز الثاني للخطاب التحرري في مواجهة المد الاستعماري ووسائله عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله.

الخاتمة: تتناول نتائج الدراسة، وتوصياتها.

الفهرس: يتضمن قائمة بالمراجع التي استندت إليها الدراسة.

ويجرى تفصيل ذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: المرتكز الأول للخطاب التحرري في مواجهة المد الاستعماري ووسائله

يتطرق المطلب الحالي لبيان المرتكز الأول للخطاب التحرري لدى الإمام محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – في مواجهة المد الاستعماري، ووسائله. ويجري استعراض ذلك في فرعين كالآتي:

الفرع الأول: الجهاد الأكبر مرتكز الجهاد الأصغر

يرى الإمام محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – أنّ مرتكز أيّ مواجهة مع الكفر على اختلاف مللة وعقائده؛ أي سواء أكان كتابيا كاليهود والنصارى، أو وثنيا كعُبَّاد الأصنام والأبقار، أو إلحاديا كمن لا يدين بدين، وسواء أكان كفرا أصليا صُراحا ظاهرا ككفر اليهود والنصاري، أو كفرا طارئا ككفر المرتدين أو كفرا باطنيا كما هو الحال في كفر المنافقين، وسواء أكان في الداخل والخارج، وسواء أكان في الشرق أو في الغرب، إنما يكون ذلك بالجهاد الأصغر أي بالقتال إذا أبوا الإسلام أو أبوا الجزية في حالة عدم قبولهم للإسلام. وأنه لا مدخل للجهاد الأصغر إلا بالجهاد الأكبر؛ أي: التربية الإيمانية لأفراد الأمة على الوجه الذي يُمَكِّنهم من مجاهدة أنفسهم الأمارة بالسوء، ومجاهدة الوساوس الشيطانية؛ الجنية، والإنسية. ومتى وقر الإيمان في القلب، وصَدَّقَه العمل، تمكن المؤمن من قهر عدوه الداخلي، ومتى قهر هذا العدو الداخلي، دان له العدو الخارجي. أما دون ذلك أي: دون الجهاد الأكبر، فإنّ المسلم يصير فريسة بين عدوين، العدو الداخلي؛ وهو نفسه الأمارة بالسوء، الوساوس الشيطانية من جهة، والعدو الخارجي متمثلا في الكفر وأهله، ومن والاهم. وفي هذه الحالة، إما أن يسقط فريسة لعدوه الداخلي، فيجبن عن الجهاد، ويرتد على أدباره خاسرا مدحورا، ويرضى بالذلة والمهانة والاستعباد، وإما أن يسقط فريسة للعدو الخارجي فيكون الهلاك للعباد والبلاد.

ويلخص الشيخ الإبراهيمي – رحمه الله – ذلك بقوله: "وإذا كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أمضى خمسة عشر عاما في الدعوة باللسان الذي ينفذ الحكمة، ويَمُد الرحمة، ويخاطب من الإنسان أشرف ما فيه وهو العقل، فلا عجب بعد ذلك إذا التجأ إلى السيف الذي يَنْطُفُ[10]، بالدم، ويخطف الأرواح، ويخاطب الأعناق والهامات"[11]. فالنبي

صلى الله عليه وسلم بدأ بالإعداد الإيماني لأفراد الأمة، أي: الإعداد للجهاد الأكبر كمدخل للإعداد للجهاد الأصغر. أي: تربية أفراد الأمة على العقيدة الصحيحة، وتثبيت أركانها، وتهذيب النفوس، وتعويدها على الفضيلة لكي تستحيل حصونا منيعة تتحطم عليها صخرة الكفر وأهله في كل ميدان من ميادين المواجهة.

ويفصل الشيخ – رحمه الله – ذلك بقوله: "تكررت في النصوص القرآنية كلمة (الجهاد بالنفس) في معرض الأوامر التكليفية والأوامر الدينية بمعانيها الكاملة إنما تتوجه إلى أصحاب النفوس الكاملة التي اطمأنت للإيمان بالله، والإيقان بالحق الذي يدعو إليه، والرضا بأحكامه الدينية والقَدَرية، وجَعْل الحياة المحدودة مَطِيّة للحياة الخالدة. وما وصل أصحاب هذه النفوس إلى هذه الدرجة من الكمال إلا بعد جهاد في النفس، هيأها للجهاد بالنفس ثم دفعها إليه. فأعلى مراتب الجهاد وأصله الذي تتفرع منه فروعه هو الجهاد في النفس حتى تستقيم على صراط الحق والفضيلة، وتستعد لما بعد ذلك من أنواع الجهاد الخارج عن النفس والنفس البشرية كسائر الكائنات الحية يجب أن تتعاهد بالتربية الصالحة، وتُرَاض على الفضائل والكمالات، وإنْ شَقَّت، حتى ترجُحْ قابليتها للخير على قابلية الشر، وكل هذا يفتقر إلى جهود، فهو جهاد فيه كل خصائص الجهاد بمعناه الضيق، ويزيد عليه بأنه أصله وأساسه، وقد وردت الآثار بتسميته الجهاد الأكبر"[12]. فوفقا لذلك، فإنَّ الجهاد الأكبر هو المفتاح للجهاد الأصغر. فلا سبيل إلى ترويض العدو الخارجي إلا بعد ترويض العدو الداخلي. ويدلل على ذلك اقتران الجهاد الأصغر؛ أي: قتال الكفر وأهله، بالإيمان بالعديد من الأدلة من ذلك قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أَدُلُّكُم على تِجارةٍ تُنْجِيكم من عذابٍ أليم * تؤمنون بالله ورسولِهِ وتجاهدونَ فى سبيل الله بأموالِكم وأنفسِكُم ذلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلَمُون * يَغْفِرْ لكم ذُنُوبِكم ويُدْخِلْكُم جناتٍ تجرى مِن تحتها الأنهارُ ومساكنَ طيّبةً فى جناتِ عَدْنٍ ذلك الفوزُ العظيم * وأُخرى تُحِبُّونَها نَصْرٌ من الله وفَتْحٌ قريبٌ وبَشِّرِ المؤمنينَ﴾[13]. "والإشارة بقوله: (ذلِكم) إلى ما ذَكَرَ من الإيمان والجهاد، وهو مبتدأٌ وخَبَرُهُ (خَيْرٌ لكم) أي: هذا الفِعْل خيرٌ لكم من أموالِكم وأنفسِكم (إن كنتم تعلمون)؛ أي: إن كنتم ممن يَعْلَم فإنكم تَعْلمون أنه خيرٌ لكم، لا إذا كنتم من أهل الجهل فإنكم لا تعلمون ذلك"[14] "ولكم خَصْلة أخرى وتجارةٌ أخرى تُحبُّونها (نصرٌ من الله)؛ أي: هو نصرٌ من الله ... أي:

ولكم نصرٌ من الله (وفتح قريب)؛ أي: غَنِيمة في عاجل الدنيا"[15]؛ أي: "وبَشِّر يا محمد المؤمنين بالنَّصر والفَتْح، أو بَشِّرْهُم بالنصر في الدنيا، والفتح، وبالجنة في الآخرة"[16]. فالله تعالى قرن الجهاد بالإيمان للتدليل على أن الإيمان هو أساس الجهاد، والأصل الذي يتفرع عنه، وأن الجهاد هو ثمرة الإيمان، وأنه لا سبيل إلى تحقيق الثمرة المرجوة من الجهاد في الدنيا والآخرة إلا بالعدة الإيمانية.

ويبين الإمام الإبراهيمي – رحمه الله – الآثار المترتبة على أخذ النفس بالجهاد بقوله: "أيها المسلمون: إننا لا نَصْدُق الجهاد في عدونا الخارجي إلا إذا صَدقنا — قبل ذلك وتوطئة لذلك — الجهاد في نفوسنا التي بين جنوبنا، جهادًا يُصَفّي أكدارها، ويُطَهّرها من المطامع الدنيَّة والأغراض السخيفة، والشهوات الحيوانية، حتى إذا لقينا العدو الخارجي لقيناه بنفوس مطمئنة، وبصائر مستنيرة، وعزائم مُصَمِّمة، وقلوب متحدة على غاية واحدة يسوقها سائق نفساني واحد قبل سائق العلم والنظام، وتدفعها قوة نفسية واحدة قبل دافع المادة والآلة. إن النظام والآلة والعلم كلها مُكَملات تأتي بعد إعداد النفوس. وإننا لا ننتصر على العدو الخارجي حتى ننتصر على العدو الداخلي وهو نفوسنا، فلنبدأ بها، فمن سُنَّة القتال (قاتلوا الذين يَلُونَكُم)[17]. الطمع، وحب الجاه، والغرور، والحسد، والأنانية والبغضاء، والحقد، والبُخل ... كلها نقائص في نفوسنا يجب أنْ نطهرها منها، وكلها مداخل لعدونا يأتينا منها، فيجب أن نَسُدّها عليه، ولهي – والله – أَضرّ علينا من ثغورنا المفتوحة في وجه العدو. إن أعداءنا الذين مَلَكوا رقابنا، واحتلوا أوطاننا، وساموا الذِّلَّة والهوان، واستعبدونا شر استعباد، إنما استعلوا بأخلاقهم القوية على أخلاقنا الضعيفة، ثم استعانوا بنا علينا، فمتى طلبوا خائنا لوطنه، وجدوا العشرات، ومتى التمسوا جاسوسا يكشف لهم عن أسرارنا، ويدلهم على عوراتنا، وجدوا المئات، ومتى التمسوا ناعقا بالفُرْقة فينا أو ناشرا للخلاف بيننا وجدوا الآلاف، ومتى أرادوا حاكما منا على أن يسمع لهم ويُطيع ويبيعهم مصالح بلاده، وجدوه فوق ما يريدون، وما ذلك إلا لأن نفوسنا أنهكتها الرذائل، وتَحَيّفَتها[18] النقائص"[19].

فمن ثمرة الجهاد تربية النفس على معالي الأمور، وتطهيرها من الرذائل. وبذا تقف صامدة أمام تيار الشهوات وأمواج الشبهات التي تقذف بها أعاصير الأعداء الطامعين وتستعصي بذلك على مساعيهم لاختراق جبهات المسلمين. ويدلل على ذلك قول الله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا * إذا مسّه الشر جزوعا * وإذا مسّه الخير منوعا﴾[20]؛ يقول ابن كثير – رحمه الله– في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى مُخبرا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة (إنّ الإنسان خلق هلوعا)"[21]؛ أي: "الذي إذا ناله الشرُّ أظهر شدة الجَزَع، وإذا ناله الخيرُ بَخِلَ به ومَنَعَه الناس"[22]. وهذه الغرائز الناقصة المتمثلة في الهلع والخوف، وغيرها كالأنانية، والطمع، والحسد[23] إذا ما تناولتها التربية الإيمانية، هذبتها ونحت بها نحو ما فيه صلاح الإنسان في الدارين. ولذا استثنى الله تعالى المصلين من السقوط في دَرَك هذه الطبيعة بقوله تعالى: ﴿إلا المصلين *الذين هم على صلاتهم دائمون﴾[24] قال القرطبي – رحمه الله –: "قوله تعالى: (إلا المصلين)؛ قال النَّخَعي: المراد بالمصلين الذين يؤدون الصلاة المكتوبة ... فإنهم يَغلِبون فَرْط الجَزَعِ بثقتهم بربهم ويقينهم"[25]، والمعنى: "أنهم ليسوا على تلك الصفات من الهَلَع والجَزَع والمنع، وأنهم على صفات محمودة وخِلال مرضية لأنّ إيمانَهم وما تمسكوا به من التوحيد ودين الحق يزجرهم عن الاتصاف بتلك الصفات، ويحملهم على الاتصاف بصفات الخير"[26].

الفرع الثاني: الصيام مرتكز الجهاد الأكبر

سبقت الإشارة إلى أنّ الإمام الإبراهيمي – رحمه الله – يؤكد على أنّ الجهاد الأكبر هو السبيل إلى الجهاد الأصغر. فلا يتسنى مواجهة العدو الخارجي متمثلا في الكفر وأهله دون مواجهة العدو الداخلي متمثلا في النوازع الشريرة والوساوس الشيطانية. كما لا يتسنى الدفع بالمقاتِلة لمواجهة جيوش الكفر دون تحصين الجبهة الداخلية للأمة بالإعداد الإيماني لكي لا تتزعزع تحت وطأة ما قد يبثه الأعداء من أراجيف، وما قد يزينه من مغريات.

إلا أنَّ المرء قد يتساءل عن الوسائل التي يمكن أن تعين على مجاهدة النفس والشيطان وقرين السوء. وهنا يشير الإمام الإبراهيمي – رحمه الله – إلى أنَّ الصيام هو المدخل الذي يُعزز قدرة الشخص على المجاهدة، وتعويد النفس على الفضائل واجتثاث الرذائل، فيقول: "أيها المسلمون: هذا شهر رمضان، وهو المدرسة الإلهية التي تُعلِّم الجهاد في النفس"[27].

ويبين الإمام الإبراهيمي – رحمه الله – ثمرة الصيام بقوله: "وهو [أي: الصيام] الميدان الذي تجرى فيها التمرينات القاسية، والإعداد الكامل، والامتحان الشامل، فإما نجاح في جهاد النفس يخْرِج صاحبه بشهادة قوة الإرادة، وصدق العزيمة، وإما إخفاق يحمل صاحبه شارة العبودية والهزيمة"[28]. فالصيام "يمتنع فيه المسلم – خلال النهار عن شهوات نفسه وكأنما هو في دورة تدريبية للنفس لشحذ الإرادة ... ومهما كانت أهمية رياضة الجسم، فإن رياضة الإرادة والنفس لهما المكان والأهم"[29].

ويشير– رحمه الله — إلى الثمرة المترتبة على قوة الإرادة بقوله: "إن قوة الإرادة هي التي مَلَكَت زمام العالم فيما ترون وتسمعون، وإنَّ قَوِيَّ الإرادة هو الذي لا يدع المجال لشهوات النفس وملذاتها الزائلة أن تنزل به عن مقامات العزة، والسيادة، والشرف، إلى مواطن الذُّل والعبودية، والضَّعَة"[30]. فإنَّ قِوَام الصوم هو تحرير الإرادة، وثمرة ذلك "جعلها تبعا لأوامر الله لا لرغائب النفس"[31].

ويُسْهِب – رحمه الله – في إبراز كيف يؤدي الصيام إلى تعزيز قدرة المسلم على مجاهدة النفس بقوله: "وإنَّ صوم رمضان جهاد أي: جهاد في النفس التي هي مصدر الملكات كلها لأنها هَجْر للشهوات المُستولية على البطون، والفُرُوج والألسنة، وقمع لأضرى الغرائز الحيوانية.

(...) إنَّ الصوم يُقَوّي الروحانية، ويُغَذّي الفضائل، ويَشُدّ العزائم، ويُغْري الفِكْر بالسَّدَاد والإصابة، ويُرَبِّي الإرادات على الحزم والتصميم، وإنَّ حياتكم اليوم حَرْب لا تنتصر فيها إلا الأخلاق المتينة"[32]. ولا سبيل إلى تلك الأخلاق المتينة إلا المجاهدة. وما يعين على هذه المجاهدة هو الصوم. فالصوم "عبادة قوامها أن يمتلك المرء نفسه، وأنْ يَحْكُم هواه وأن تكون لديه العزيمة التي يترك بها ما يشتهي، ويَقْدُم بها على ما يكره ... من أجل هذا نجد أنّ الصوم يمنح المسلم إرادة لا تنثني، فيمضي بساعد قوي لا يُفَلُّ له سلاح، وبإرادة لا تلحق بها هزيمة ولا عار، وهو لا يرضى إلا بإحدى الحُسنين: الشهادة أو النصر. وقد رأينا المسلمين الأوائل، وقد تخرّجوا في مدرسة الصيام كيف كان الواحد منهم بألف. وكيف خاضوا معارك الحق والعدل، ورفعوا راية الإسلام خفاقة عالية على ربوع الأرض"[33].

وما ذهب إليه الإمام الإبراهيمي – رحمه الله – من توكيد أهمية الصوم في تربية النفس على الأخلاق العالية والشمائل الرفيعة يستدل عليه بقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كُتبَ عليكم الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قبلِكم لعلكم تتقون﴾[34]. قال البغوي – رحمه الله–: "(لعلكم تتقون)؛ يعني: بالصوم، لأنَّ الصومَ وصلةٌ إلى التقوى، لِما فيه من قَهْر النَّفْس وكَسْر الشهوات"[35]. كما يدلل عليه أنَّ "كثيرا من الغزوات، والفتوح الإسلامية الظافرة قام بها المسلمون في رمضان، فقد كانوا يستمدون منه كل طاقات الإيمان، ومجاهدة النفس والقناعة، والصبر، والعِفة، والبَّذْل، والإيثار، والقدرة على تحمل المَشَاق، ومضاعفة الإنتاج والإعداد المادي والنفسي لملاقاة العدو، وإحباط دسائسه، ودَحْر عدوانه"[36].

ومن هنا يطالب الإمام الإبراهيمي – رحمه الله – المسلمين بأن يتخذوا من الصيام ميدانا للتدرب على مجاهدة الذات، وتربية النفس على الفضائل فيقول: فاجعلوا من رمضان ميدانا زمنيا للتدريب على المُغالبة بالأخلاق تنتصروا على عدوكم، فتخرجوا هيبته من قلوبكم، ووسوته من صدوركم، وجيوشه من بلادكم. إنَّ عدوكم يعتمد على متانة الأخلاق قبل اعتماده على الحديد والنار، فأعدوا له أخلاقا أمتن تَفُلُّوا حَدِيدَهُ، وتُطفئوا ناره. إنَّ عبيد الشهوات لا يتحرروا أبدا، فلا تُصَدِّقوا أنَّ مَن تَغْلِبَه شهواته يستطيع أن يَغْلِب عدوا في موقف. ابدأوا بتحرير أنفسكم من نفوسكم، وشهواتها، ورذائلها، فإذا انتصرتم في هذا الميدان، فأنتم منتصرون في كل ميدان"[37]. وذلك لما للصوم من أهمية كبرى من تهذيب النفس. فإن "الصوم تطهير للنفس، وتزكية للقلب، وترويض للجوارح على الطاعة، وأَخْذ للأمور بالجَدّ، وصِدْق النية، ومراقبة ذاتية للضمير. إنَّ الحكمة في الصوم تتجلى لكل من صام في كف الجوارح الظاهرة والباطنة عن المنهيات الموجبة للعذاب في الدار الآخرة، فيتذكر الصائم الآخرة، ويصوم عما يوجب العذاب فيها، فإنَّ كل مَنهي عنه وقع فيه العبد، فقد فتح على نفسه منه بابا إلى النار"[38].

المطلب الثاني: المرتكز الثاني للخطاب التحرري في مواجهة المد الاستعماري ووسائله

يتطرق المطلب الحالي لبيان المرتكز الثاني للخطاب التحرري لدى الإمام محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – في مواجهة المد الاستعماري، ووسائله. ويجري استعراض ذلك في فرعين كالآتي:

الفرع الأول: الإيمان مرتكز النصر

يؤكد الإمام محمد البشير الإبراهيمي على أنَّ الإعداد الإيماني للمقاتلين هو المدخل للنصر. وهذا لا يعني إغفال الإعداد البدني والمادي وغير ذلك من أنواع الإعداد. فمع أهمية ذلك، إلا أنَّ الأساس والمنطلق لكل ذلك هو التنشئة الإيمانية للمجاهد. فبالإعداد الإيماني للفرد المسلم المقاتل – بجانب الإعداد البدني والعسكري – يتمايز المقاتل المسلم عن غيره من المقاتلين، وإن تفوق عليه هؤلاء المقاتلون عدة وعتادا. وبهذا التمايز الإيماني، تُحسَم المعركة لصالحه. أما إذا افتقر المجاهد المسلم لهذه التربية الإيمانية، فإنه يستوي بغيره من المقاتلين من غير المسلمين، وتُحسم المعركة لصالح من له الغلبة في العدة والعتاد.

ويبرز الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – هذا المعنى في معرض حديثه عن غزوة بدر الكبرى بقوله: "إنَّ المسلمين انتصروا يوم بدر بالإيمان الصحيح القوي الذي ثَبَّتَ العقائد، فثبتت الإرادات، فاندفعوا اندفاع من يريد أن يموت ليحيا دينه، وقومه، وبلاده. كان يعتقدون أنَّ ما يقاتلون عليه هو الحق من ربهم، وأنَّ محمدا – صلى الله عليه وسلم – الداعية إلى هذا رسول الله الصادق الأمين، وأنَّ موتهم في سبيل دعوته طريق إلى الجنة التي وُعِدوها، فتصوروا خلودها كرأي العين، ووَعْد الله بها كَقَبْض اليد، وأنه ليس بينهم وبين دخولها إلا فراق الروح للجسد، وأنَّ الموت لا فِرَار منه، وأنه مُلاقيهم ولابد، وأنَّ هذه الأرواح ودائع أو بضائع، والودائع مُسترجعة، والبضائع لها سوق ولها قَيمة، فاختاروا السوق ميدان الجهاد، والبيع لله، والقيمة رضاه وجِواره. هذه هي الروح التي لَبِسَت تلك الفئة القليلة حين تراءت الفئتان، فئة الله، وفئة اللات في شِعْب[39] بدر، وهذه هي القوة التي تتضاءل أمامها كل الدنيا، ومُحَال أن ينهزم حامل هذه الروح. أما الفئة الكثيرة فقد خرجت تدافع عن العَرَض[40] الزائل، فلَّما سَلِمَ دَفَعْتها الخُيَلاء والغرور الباطل إلى أن تُدافع عن السّمْعة والأُحْدُوثة [41]"[42].

ولا ريب أن ما يشير إليه الإمام الإبراهيمي – رحمه الله – من أنّ الإيمان هو المدخل إلى تحقيق النصر هو الحق الذي لا مِراءَ فيه. والأدلة على ذلك متكاثرة منها قول الله تعالى: ﴿قد كان لكم آيةٌ فى فئتين التقتا فئةٌ تُقاتل فى سبيل الله وأُخرى كافرةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِم رَأْىَ العَيْنِ

واللهُ يُؤيِّدُ بنَصْرِهِ مَن يشاءُ إنَّ فى ذلك لعِبْرَةً لأولى الأبصار﴾[43]. قال الطبري – رحمه الله –: "إنَّ لكم عِبْرة ... فيما رأيتم من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين، وظَفِرَ هؤلاء مع قلة عددهم، بهؤلاء مع كثرة عددهم[44]". "يعني: إنَّ فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم: من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها، على الفئة الكافرة مع كثرة عددها لعبرة، يعني: لمُتَفَكَّرًا ومُتَّعَظًا لمن عَقَلَ واذّكّرَ فأبصر الحق"[45]، والنصر إنما هو للحق وإنْ قلَّ ناصروه، والإيمان هو الحق وما سواه هو الباطل. فالله يؤيد المؤمنين بنصره لإيمانهم، وإن قلت عدتهم وعتادهم.

كما يدلل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين خَرَجوا من ديارِهم بَطَرًا ورِئاءَ الناسِ ويَصُدُّونَ عن سبيلِ الله واللهُ بما يَعْمَلُونَ مُحيطٌ * وإذ زَيَّنَ لهم الشيطانُ أعمالَهُم وقالَ لا غالبَ لكم اليومَ مِن الناسِ وإنِّي جارٌ لكم * فلَّما تَرَاءَتِ الفِئتَانِ نَكَصَ على عَقِبَيهِ وقالَ إنِّي بريءٌ منكم إنِّي أرى ما لا تَرَوْنَ إنِّي أخافُ اللهَ * واللهُ شديدُ العِقاب﴾[46]. قال الطبري – رحمه الله –: "وهذا تَقَدُّمٌ من الله جلَّ ثناؤه إلى المؤمنين به رسوله، أنْ لا يعملوا عملا إلا لله خاصة، وطلب ما عنده، لا رئاءَ الناس، كما فعل القوم من المشركين في مسيرهم إلى بَدْر طلب رئاء الناس"[47] أي: "ولا تكونوا: أيها المؤمنون بالله رسوله، في العمل بالرياء والسُّمْعة، وترك إخلاص العمل لله، واحتساب الأجر فيه، كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله خرجوا من منازلهم بَطَرًا ومراءاة الناس بزيِّهِم وأموالهم وكثرة عددهم، وشدة بِطانتهم"[48]. ويقول ابن كثير – رحمه الله –: "يقول تعالى بعد أَمْرِهِ المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله، وكثرة ذِكْرِهِ، ناهيا عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم، بَطَرًا؛ أي: دَفْعًا للحق، ورئاء الناس، وهو المفاخرة، والتكبُّر عليهم"[49]. "وحين زَيَّنَ لهم الشيطان خروجهم إليكم أيها المؤمنون لحربكم وقتالكم، وحَسَّنَ ذلك لهم، وحَثَّهُم عليه، وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من بني آدم، فاطمئنوا وأَبشروا (وإنِّي جارٌ لكم) ... أجيركم وأمنعكم منهم ... (فلَّما ترءات الفئتان) ... فلّما تزاحفت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين، ونظر بعضهم إلى بعض، (نَكَصَ على عقبيه) ... رجع القهقَرى على قَفَاه هاربا ... وقال للمشركين (إنِّي بريءٌ منكم إنِّي أرى ما لا تَرَوْنَ)، يعني أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مددًا للمؤمنين، والمشركون لا يرونهم"[50]. وفي ذلك دليل على تأييد الله تعالى للمؤمنين بنصره وأنَّ الإيمان هو السبيل إلى النصر.

ويؤكد الإمام الإبراهيمي – رحمه الله – هذا المعني بقوله: "ذلك اللقاء يوم بدر لم يكن بين طائفتين قليلة وكثيرة، وإنما كان بين عقيدتين حق وباطل، وإرادتين مصَمِّمة وواهنة[51] وحَسْب الحق في عالم الظهور أنْ يجد مَن يُمثّله، فإذا وُجِد سقطت معه مقاييس اللغة والكثرة، والقلة من الحساب والاعتبار، ومثاله في عالم الشهود قِطْعة من الحَدِيد تُوَازَن بأضعاف حجمها من القُطن، ولَمَّا ظهرت هذه السُّنَّة عمليا في بدر، جاء القرآن بتقريرها علميا في سورة الأنفال: ﴿إنْ يكن منكم عشرُونَ صابرونَ يَغْلِبوا مائتينِ * وإنْ يكن منكم مائةٌ يَغْلِبوا ألفًا مِن الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يَفْقهُون * الآن خَفَّفَ الله عنكم وعَلِمَ أنَّ فيكم ضَعْفًا فإنْ يكن منكم مائةٌ صابرةٌ يَغْلِبوا مائتينِ * وإنْ يكن منكم ألفٌ يَغْلِبوا ألفَيْنِ بإذن الله * واللهُ مع الصابرين﴾[52]"[53]. ففي هذه الآية دليل على أنَّ المعتبر هو الإيمان مع الأخذ بالأسباب المادية للنصر. ففي هذه الآية: "يُحَرِّض تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على القتال، ومُناجزة الأعداء، ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حَسْبُهُم أي: كافيهم وناصرُهُم ومؤيدهُم على عدوهم، وإنْ كَثُرَت أعدادهم، وترادفت أمدادهم، ولو قلَّ عدد المؤمنين"[54]. و"أنه تعالى بَيَّنَ العلة في هذه الغَلَبَة، وهو قوله: (بأنهم قومٌ لا يَفْقهون)، وتقرير هذا الكلام من وجوه:

– **الوجه الأول**: أنَّ مَن لا يؤمن بالله ولا يؤمن بالمعاد، فإنَّ غاية السعادة والبهجة عنده ليست إلا هذه الحياة الدنيوية، ومَن كان هذا معتقده، فإنه يَشِحُّ بهذه الحياة، ولا يُعَرِّضُها للزوال، وأما من اعتقد أنه لا سعادة في هذه الحياة الدنيا، ولا يَلْتفت إليها ولا يُقيم لها وزنا، فيُقْدِم على الجهاد بقلب قوي وعَزْمٍ صحيح، ومتى كان الأمر كذلك، كان الواحد من هذا الباب يقاوم العدد الكثير من الباب الأول.

– **الوجه الثاني**: أنَّ الكفار إنما يُعوِّلون على قوتهم وشوكتِهم، والمسلمون يستعينون بربهم بالدعاء والتضرع، ومن كان كذلك، كان النصر، والظَّفَر به أليَقَ وأولى.

– **الوجه الثالث**: وهو وجه لا يعرفه إلا أصحاب الرياضات والمُكاشفات، وهو أنَّ كل قلب أُختص بالعلم والمعرفة، كان صاحبه مَهيبا عند الخَلق، ولذلك إذا حضر الرجل العالِم عند عالَم من الناس الأقوياء الجُهَّال الأشداء، فإنَّ أولئك الأقوياء الأشداء الجُهَّال يهابون ذلك العالِم ويحترمونه ويخدمونه ... وأيضا الرجل الحكيم إذا استولى على قلبه نور معرفة الله

تعالى، فإنه تَقْوى أعضاؤه، وتشتدُّ جوارحه، وربما قَوِيَ عند ظهور التَّجَلِّي في قلبه على أعمال يعجز عنها قبل ذلك الوقت. إذا عرفت هذا فالمؤمن إذا أقدم على الجهاد، فكأنه بَذَلَ نفسه وماله في طلب رضوان الله. فكان في هذه الحالة كالمشاهِد لنور جلال الله فيَقْوَى قلبُه، وتَكْمُلُ رُوحه، ويَقْدِر على ما لا يَقْدِرُ غيره عليه. فهذه أحوالٌ من باب المكاشفات تدل على أنَّ المؤمن يجب أن يكون أقوى قوة من الكافر، فإن لم يَحْصُلْ، فذاك لأن ظهور هذا التَّجَلِّي لا يَحْصُلُ إلا نادرا، وللفرد بعد الفرد، والله أعلم"[55].

أي: أنَّ العلة في الغلبة هي الإيمان لا معيار القلة والكثرة؛ أي: قلة العدد والعتاد أو كثرته مع أهمية ذلك. والإيمان هنا ليس مجرد قول يقال باللسان ويشار إليه بالبنان وإنما الإيمان الذي يصدقه العمل. الإيمان الذي يفقه به المرء حقيقة الدنيا؛ فيرى الحياة الدنيا قنطرة إلى الآخرة، ويرى في الموت سبيلا إلى ذلك لا ذلك الذي يزعم الإيمان وهو يَخْلُد إلى الدنيا ويطمأن بها، ولا ذلك الذي يرى الدنيا نهاية المطاف. ويشير الإبراهيمي – رحمه الله – إلى ذلك بقوله: "والسُّنَّة المُستسّرة[56] هي وصفه [أي: الله تعالى] طائفة بأنهم [أي: الكفار] قوم لا يفقهون، وطائفة بأنها صابرة، وأصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – يوم بدر كانوا مؤمنين صابرين على الموت، والمؤمن الصابر لا يرى الموت كما يراه الناس هادما للذَّات وقاطعا للشهوات، وإنما يراه بابا للَّذَّات الخالدة الباقية. أسوق هذه العبرة لإخواني المسلمين ... ليعلموا بماذا انتصرت الفئة القليلة يوم بدر، فليعلموا لماذا انكسرت فئتهم الكثيرة يوم فلسطين[57]، وإنَّ في اليومين لآيات لقوم يعقلون"[58]. حقا إن في اليومين آيات. في يوم بدر خرجت القلة المسلمة متسلحة بالإيمان، مقيمة لفرائض الله تعالى، ملتزمة بحدوده، ممتثلة لأوامره تعالى، منتهية عن نواهيه ذاكرة لله تعالى في كلّ وقت وحين، مبتهلة إليه متضرعة له تعالى، ومن خلفها أمة مسلمة مقيمة لمنهج الله تعالى، مراعية لأحكامه. هذه القلة التي استوفت الجهاد الأكبر، فقهرت عدوها الداخلي، وتملكت زمام أنفسها وراضته إلى كل ما يرضي الله تعالى، ونأت به عن كل ما يغضبه تعالى، فأيدها الله تعالى بنصره مصداقا لقوله تعالى: ﴿وكان حقًا علينا نصرُ المؤمنين﴾ [59]. فقوله تعالى: ﴿كان حقًّا علينا﴾؛ أي: نصرُ المؤمنين كان حقا علينا"[60]؛ "أي: هو حق أوجبه على نفسه الكريمة تكرما وتفضلا"[61].

الفرع الثاني: العمل مرتكز الإيمان

سبقت الإشارة إلى أنّ المرتكز الثاني للخطاب التحرري الذي ينادي به الإمام محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – في مواجهة المد الاستعماري يتحدد في أنَّ الإيمان هو مفتاح النصر. فيقول الإمام الإبراهيمي – رحمه الله – في معرض حديثه عن نكبة فلسطين: "هناك سلاحا أمضى من جميع الأسلحة المادية، وأنه الشرط الأول في نفعها، وغنائها، وهو سلاح الروحانيات، من إيمان بالحق، واعتداد بالنفس، وحفاظ على الكرامة، وتقديس للشرف، وإباء للضَّيْم، ومغالاة بالتضحية والفداء، واستخفاف بالظلم والظالمين"[62].

إلا أنَّ الإيمان لكي ينمو ويؤتي بثماره لابد له من وسائل تزيده، وتعززه لكي لا يضعف ويتوارى شيئا فشيئا. ويُجْمِل الإمام الإبراهيمي – رحمه الله – هذه الوسائل في معرض حديثه عن نكبة فلسطين وكيفية مواجهتها بقوله: "فلو أنكم آمنتم بالله حق الإيمان، وعملتم الصالحات التي جاء بها القرآن، ومنها جمع الكلمة، وإعداد القوة، ومحو التنازع بينكم لأنجز الله لكم وعده، وجعلكم خلائف الأرض"[63]. ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليَستخلِفَنَّهُم فى الأرض كما استخلف الذين مِن قبلِهم ولَيمَكِّنَنَّ لهم دينَهُم الذى ارتضى لهم وليُبَدِّلَنَّهُم من بعدِ خَوفِهم أمنا يعبدننى لا يشركون بى شيئا ومن كَفَرَ بعدَ ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[64]. قال البغوي – رحمه الله – في تفسيره: "(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليَستخلِفَنَّهُم فى الأرض) ... يعني والله ليستخلفَنَّهم أي ليُورِّثَنَّهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعَلهم ملوكَها وساستَها وسُكانَها ... (كما استخلف الذين من قبلهم)؛ أي: بني إسرائيل حيث أهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم، (ولَيمَكِّنَنَّ لهم دينَهُم الذى ارتضى لهم)؛ أي: اختارَ، قال ابن عباس: يوَسِّعُ لهم في البلاد حتى يُملَّكوها ويُظهِرَ دينهم على سائر الأديان ... (وليُبَدِّلَنَّهُم من بعدِ خَوفِهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) ...آمنين، لا يشركون بي شيئا، فأنجز الله وعده، وأظهر دينَه ونصر أولياءه، وأبدلهم بعد الخوف أَمْنا وبَسْطًا في الأرض"[65]. ففي هذه الآية قرن الله تعالى الإيمان بالعمل الصالح لأنّ العمل الصالح هو المدخل لتعزيز الإيمان وتنميته، ومتى تعزز الإيمان وتوطدت أركانه، أينعت ثماره، ومن هذه الثمار حصول التَّمكّين والغلبة والنصر.

إذن فالأعمال الصالحة هي المرتكزات التي يستند إليها الإيمان في نموه واستمراره. ومدار الأعمال الصالحة هو الامتثال لأوامر الله تعالى، والانتهاء عن نواهيه. فكل امتثال لأوامر الله تعالى هو عمل صالح، وكل انتهاء عن نواهي الله تعالى هو عمل صالح. إلا أنَّ أجل الأعمال الصالحة التي تزيد في الإيمان، وتعزز دعائمه، وتوطد أركانه، تتمثل في الآتي:

أولا: إقام الصلاة:

إنَّ الصلاة تزيد الإيمان، وتثبت أركانه. فالعبد يُحيي قلبه بانقطاعه لله تعالى في الصلاة. كما أنّ الصلاة مُكَفِّرة للذنوب، وهذا التكفير من شأنه من ينقي القلب من الأدران ويزيد من قوته وحيويته، ومتى استعاد القلب عافيته، اطمأن بالإيمان. وبالإيمان يتفرغ من حب الدنيا، ويتشبث بالآخرة. وحينئذ يصير القلب بمثابة الصخرة التي تندك عندها حصون الكفر. ويستدل على ذلك بالآتي:

– **الدليل الأول:** قال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبرِ والصلاةِ وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين * الذين يظنون أنهم مُلاقوا ربّهم وأنهم إليه راجعون﴾[66]. قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى آمرا عبيده فيما يؤمِّلون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة"[67]، "والمراد بالصبر الكَفُّ عن المعاصي ... وأما قوله: (الصلاة)؛ فإنَّ الصلاةَ من أكبر العَوْن على الثبات في الأمر"[68].

– **الدليل الثاني:** قال تعالى: ﴿وأَقِمِ الصلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وزُلَفًا من اللَّيْلِ، إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾[69]. قال القرطبي – رحمه الله –: "قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاةَ طَرَفَيِ النّهار﴾ لم يختلف أحدٌ من أهل التأويل في أنَّ الصلاة في هذه الآيةِ يُراد بها الصلوات المفروضة وخَصّها بالذِّكْر لأنها ثانية الإيمانِ ... وقوله تعالى: ﴿إنَّ الحسَنَاتِ يُذهبن السيئات﴾ ذهب جمهور المتأوِّلين من الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم أجمعين – إلى أنَّ الحسنات هاهُنا هي الصلواتُ الخَمْسُ"[70]. وفي ذلك دلالة على أنَّ "الإنابة إلى طاعة الله والعمل بما يُرضيه، يُذهِب آثام معصية الله، ويُكَفِّر الذنوب"[71] مما يحيي القلب ويعمره بالإيمان.

– **الدليل الثالث:** عن أبي هُريرة، أنه سَمِع رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم– يقولُ: "أرأيتم لو أنَّ نَهْرًا ببابِ أحدِكم يغتسلُ فيه كلَّ يوْمٍ خمسا، ما تقول: هل يُبقي من دَرَنِه

شيء؟"[72]، قالوا: لا يُبقي من دَرَنِه شيئا، قال: "فذلك مِثْلُ الصلواتِ الخَمْسِ، يمحو اللهُ بها الخطايا[73]"[74]. قال ابن بَطَّال – رحمه الله–: "في حديث أبي هُريرة بيان أنّ صغائر الذنوب يغفرها بمحافظته على الصلوات؛ لأنه شَبَّهَ الصغائر بالدَّرَن، والدَّرَن ما لم يبلغ مبلَغ الجِرَاح"[75]. قال القسطلاني –رحمه الله–: "فشُبِّهَت الصلاةُ بالنهر لأنها تُنقِّي صاحبها من دَرَن الذنوب كما يُنقي النهرُ البَدَنَ من الأوساخ التي تَعْلَقُ به بالاغتسال فيه. وشَبَّهَ قُرْب تعاطي الصلوات وسهولته بكَون النهر قريبا من مجاورته على باب داره، وشَبَّهَ أداءها كلّ يوم خَمْسَ مرات بالاغتسال المتعدد كذلك، وشُبِّهَت الذنوب بالأدران للتأذي بمربستها وشَبَّه محو السيئات عن المُكلَّف بنقاء البدن وصفائه"[76]. ومع زوال أثر الذنوب، يكون القلب أهلا لأن يعمره الله تعالى بنور الإيمان، فيزداد العبد إيمانا على إيمان.

ثانيا: تلاوة القرآن:

إنَّ تلاوة القرآن تزيد الإيمان وتدعمه. فمع تلاوة القرآن بخشوع، والاشتغال بتدبر معانيه تتنزل السكينة والطمأنينة، ويفتح الله تعالى على القلب برد اليقين. ويستدل على ذلك بالعديد من الأدلة منها الآتي:

- **الدليل الأول:** قال الله تعالى: ﴿ونُنزّلُ من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين * ولا يزيد الظالمين إلا خَسارا﴾[77]. قال الفخر الرازي –رحمه الله–: "فجميع القرآن شفاءٌ للمؤمنين. واعلم أنَّ القرآنَ شفاءٌ من الأمراض الروحانية، وشفاءٌ أيضا من الأمراض الجسمانية. أما كونه شفاءٌ من الأمراض الروحانية فظاهر، وذلك لأنّ الأمراض الروحانية نوعان: الاعتقادات الباطلة، والأخلاق المذمومة ... وأما كونه شفاءٌ من الأمراض الجسمانية فلأنَّ التبرُّك بقراءته يدفع كثيرا من الأمراض"[78]. وقال ابن كثير: "يقول تعالى مُخبِرا عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم — وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، إنه شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين؛ أي: يُذهِب ما في القلب من أمراض من شك، ونفاقٍ، وشِرْكٍ وزَيْغ، ومَيْل، فالقرآن يشفي من ذلك كله، وهو أيضا رحمةٌ يَحصُل فيها الإيمان والحِكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لِمَن آمن به، وصَدَّقه واتبعه، فإنه يكون شفاءٌ في حقه ورحمه"[79].

- **الدليل الثاني:** قوله تعالى: ﴿قل هو للذين آمنوا هُدى وشفاءٌ والذين لا يؤمنون فى آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عَمًى أولئك يُنَادَوْنَ من مكانٍ بعيد﴾[80]. قال القرطبي – رحمه الله–: قوله تعالى: ﴿قل هو للذين آمنوا هُدى وشفاءٌ﴾؛ أَعلَمَ الله أنَّ القرآنَ هُدى وشفاءٌ لكلِّ مَن آمن به من الشكِّ والرَّيْبِ والأوجاع"[81].

- **الدليل الثالث:** عن البَرَاء بن عازب – رضي الله عنه – قال: كان رَجُلٌ يقرأُ سورةَ الكهف وعنده فَرَسٌ مربوطٌ بشَطَنَيْن[82]، فتَغَشَّتْهُ سَحابةٌ[83] فجعلتْ تَدُورُ وتَدْنو وجعلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ[84] منها، فلمَّا أصبح أَتى النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – فذَكَرَ ذلك له، فقال: تلكَ السَّكِينة [85] تنزَّلَت للقرآن"[86]. وهذا فيه دليل على تنزُّل الطمأنينة والرحمة والملائكة عند تلاوة القرآن[87].

- **الدليل الرابع:** عن أبي هُريرة، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوتِ الله، يتلُون كتابَ الله، ويتدارَسونه بينهم، إلا نَزَلَت عليهم السَّكينةُ، وغَشِيَتْهم الرحمةُ، وحَفَّتْهُم الملائكةُ، وذَكَرَهم اللهُ فيمن عِندَه"[88]. قال النووي – رحمه الله – "المراد بالسكينة هنا الرحمة ... وقيل الطمأنينة والوقار هو أحسن"[89].

من مجموع هذه الأدلة يتضح أنّ تلاوة القرآن سبيل إلى شفاء القلوب، وتنزل السكينة عليها مما يعيد للقلب سلامته وعافيته، فتتقوى بصيرته، فيدرك الأمور على حقائقها، فيزداد الإيمان لديه، وتتدعم أركانه.

ثالثا: ذكر الله تعالى:

الاشتغال بذكر الله تعالى أحد أهم السبل لطمأنينة القلب. ومتى اطمئن القلب، فتح الله عليه بنور الإيمان، وأفاض عليه بدعائم اليقين؛ يقينا لا تزعزعه فتن الدنيا وأهوائها. هذا فضلا عن أنَّ الذكر مُكفِّرٌ للسيئات. ومن ثم فهو يزيل الأدران التي تضعف القلب وتقوض من قدرته على التبصر بحقيقة الدنيا وأنها مجرد قنطرة إلى الآخرة، وأنّ العاقل هو من يؤثر الآخرة بنعيمها الكامل المقيم على الدنيا بمتعها الناقصة والوقتية والعاجلة. ويستدل على ذلك بالعديد من الأدلة كالآتي:

- **الدليل الأول**: قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لَقِيتُم فئةً فاثبُتوا واذْكُرُوا اللهَ كثيرا لعلكم تُفْلحون﴾[90]. قال القرطبي – رحمه الله –: "أَمَرَ بالثبات عند قتال الكفار ... وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتَّجلُّد له. قوله تعالى: ﴿واذْكُرُوا اللهَ كثيرا لعلكم تُفْلحون﴾ ... اذكروا عند جَزَع قلوبكم، فإنَّ ذِكْرَهُ يُعين على الثبات في الشدائد ... فإنّ القلب لا يَسْكُن عند اللقاء، ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يَثْبُت القلب على اليقين، ويَثْبُت اللسان على الذِّكْر"[91].

- **الدليل الثاني**: قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئنُّ قُلوبُهم بذِكْرِ اللهِ ألاَ بذِكْرِ اللهِ تطمئنُّ القلوب﴾[92]. قال القرطبي – رحمه الله – في تفسيره: "أي وهو تطمئن قلوبهم على الدوام بذِكر الله بألسنتهم"[93]. وقال ابن كثير – رحمه الله –: "أي تطيب وتركَن إلى جانب الله وتَسْكُنُ عند ذِكره"[94].

- **الدليل الثالث**: قوله تعالى: ﴿فمن اتبع هدايَ فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكرى فإنّ له معيشةً ضنكا ونحشُرُهُ يوم القيامة أعمى﴾[95]. قال القرطبي –رحمه الله–: "قال بعضُهم: لا يُعرِضُ أحدٌ عن ذِكر ربِّهِ إلا أظلمَ عليه وقتُهُ وتَشَوَّشَ عليه رِزقُهُ، وكان في عِيشةٍ ضَنْكٍ"[96]. و"ذلك لأنَّ المسلم لتوكُّله على الله يعيش في الدنيا طيبا كما قال: ﴿فلنحيينّهُ حياةً طيبةً﴾[97]، والكافر بالله يكون حريصا على الدنيا طالبا للزيادة أبدا فعيشته ضنْكٌ، وحالتُهُ مظلمة"[98].

- **الدليل الرابع**: عن أبي بُرْدةَ، عن أبي موسى –رضي الله عنه– قال: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَثَلُ الذي يَذْكُرُ ربَّهُ والذي لا يَذْكُرُ ربَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والميِّتِ"[99]. قال القسطلاني –رحمه الله–: "(مَثَلُ الذي يَذْكُرُ ربَّهُ والذي لا يَذْكُرُ) ... شَبَّهَ الذاكر بالحي الذي يُزَيّن ظاهره بنور الحياة وإشراقها فيه وبالتصرف التام فيما يريده، وباطنه بنور العلم والفهم والإدراك كذلك الذاكر مُزَيَّنٌ ظاهره بنور العلم والطاعة وباطنه بنور العلم والمعرفة. فقلبه مستقر في حظيرة القُدْس[100]، وسِرَّه في مُخْدَع[101] الوَصْل، وغير الذاكر عاطل ظاهره وباطنه"[102].

من مجمل هذه الأدلة يتضح أنّ الذكر يحيي قلب العبد، فيزداد القلب خضوعا واستسلاما وإخباتا لله تعالى، فينعم الله تعالى عليه باليقين الذي تتحطم عنده صخرة الشبهات، والشهوات. وبها اليقين الذي لا يتزلزل يقف صامدا أمام شياطين الجن والإنس وترتد على أدبارها خاسرين مدحورين.

إذن من ذلك كله يتبين أنّ العمل متمثلا في إقام الصلاة، وتلاوة القرآن، والذكر ونحو ذلك هو دعامة الإيمان ومرتكزه. فبالعمل يزداد الإيمان ويترسخ، وبتراجعه، يتراجع الإيمان وينقص، ويتلاشى. ومتى تراجع الإيمان، صار العبد نُهْبة لنفسه الأمَّارة بالسوء، وفريسة لأحابيل شياطين الجن والإنس، فيستحيل لقمة سائغة لعدوه في ميادين القتال. وعلى خلاف ذلك، متى كان قوي الإيمان صَلْد العقيدة، ارتعدت أمامه فرائص قُوى الكُفر وانكسرت شوكتهم، ودانت له الأرض شرقها وغربها، شمالها وجنوبها.

خاتمة

استهدفت الدراسة الحالية تجلية مرتكزات الخطاب التحرري الذي يستند إليه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – في مواجهة المد الاستعماري. وأسفرت الدراسة عن العديد من النتائج أبرزها الآتي:

أولا: المرتكز الأول من مرتكزات الخطاب التحرري الذي يستند إليه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – في مواجهة المد الاستعماري يتمثل في أنَّ الجهاد الأكبر هو أساس الجهاد الأصغر. فلا يتسنى للمسلمين تحقيق الظفر في الجهاد الأصغر؛ أي: قتال أهل الكفر إلا باستيفاء الجهاد الأكبر؛ أي مجاهدة النفس وحملها على الامتثال لأوامر الله تعالى، والانتهاء عن نواهيه، ومجاهدة الوساوس الشيطانية، ومجاهدة العصاة، والفسَّاق والمتحللين، وأهل الأهواء، والمنافقين، ومرضى النفوس، والموالين لأهل الكفر. وتطهير الجبهة الداخلية من رواسب الجاهلية، وحمل الأمة على تطبيق منهج الله تعالى. ومتى قُهر هذا العدو الداخلي، دان له العدو الخارجي. أمّا دون ذلك؛ أي: دون الجهاد الأكبر، فإنّ المسلم يصير فريسة بين عدوين، العدو الداخلي؛ وهو نفسه الأمارة بالسوء، الوساوس الشيطانية من جهة، والعدو الخارجي متمثلا في الكفر وأهله، ومن والاهم. وفي هذه الحالة

إما أن يسقط فريسة لعدوه الداخلي، فيجبن عن الجهاد، ويرتد على أدباره خاسرا مدحورا ويرضى بالذلة والمهانة والاستعباد، وإما أن يسقط فريسة للعدو الخارجي فيكون الهلاك للعباد والبلاد.

ثانيا: المرتكز الثاني من مرتكزات الخطاب التحرري الذي يستند إليه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – في مواجهة المد الاستعماري يتمثل في أنَّ الإيمان هو أساس النصر، ومدخله. فبالإعداد الإيماني للفرد المسلم المقاتل –بجانب الإعداد البدني والعسكري– يتمايز المقاتل المسلم عن غيره من المقاتلين حتى وإن تفوق عليه هؤلاء المقاتلون عدة وعتادا. فبهذا التمايز الإيماني، تُحسَم المعركة لصالحه. أما إذا افتقر المجاهد المسلم لهذه التربية الإيمانية، فإنه يستوي بغيره من المقاتلين من غير المسلمين، وتُحسم المعركة لصالح من له الغلبة في العدة والعتاد.

وبناءً على ما أسفر عنه البحث من نتائج، توصي الدراسة بالعديد من التوصيات أبرزها على الوجه الآتي:

أولا: لتمكين الأمة الإسلامية من تحقيق الجهاد الأكبر استنادا إلى كونه الأساس في الجهاد الأصغر، فإنه يتوجب الاعتناء بالأمور الآتية:

أ. تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على الأصعدة كافة التشريعية، والقضائية، والتنفيذية على اختلافها.

ب. إدراج العلوم الشرعية في جميع المؤسسات التعليمية على اختلاف مراحلها وتخصاصاتها وإعطائها الصدارة والأولوية على غيرها من العلوم على النحو الذي يكفل الإعداد الإيماني السليم للطلاب.

ت. تبصير المسلمين بتعاليم دينهم من خلال دروس وحلقات الوعظ والإرشاد بالمساجد والقنوات الدعوية.

ثانيا: لتعزيز الإيمان لدى المجاهدين استناده إلى كونه أساس النصر، فإنه يتوجب إيلاء الاهتمام الكافي إلى الأمور الآتية:

أ. انتقاء الطلاب الراغبين في الالتحاق بالكليات والمعاهد العسكرية والشُّرَطية على أساس الدين والخلق قبل أي اعتبار آخر.

ب. صياغة المنظومة التعليمية العسكرية والشرطية أهدافا، ومحتوى، وطرق، ووسائل وفقا لتعاليم الإسلام.

ت. احتساب مدى التزام الطالب والفرد المقاتل بإقامة شعائر دينه ضمن معايير تقييمه وترقيته.

الهوامش والإحالات

(1)– كتاب (**الآثار**) أو (**آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**) هو الكتاب الذي يحوي جميع كتابات الشيخ محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، وقد تولى جمعها ابنه الأستاذ أحمد طالب الإبراهيمي. يراجع: محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، المتوفى سنة (1385هـ). **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي ص111–116.

(2)– الرازي، **مختار الصحاح**، ط5، ج1، باب: الجيم، ص63.

(3)– العبدري، **التاج والإكليل لمختصر خليل**، ط1، ج4، ص 526.

(4)– الحُصُور: الإحاطة والمنْع من المضِّي، والحَبْس. يُقال: حَصَرَهُ العَدُوّ حَصْرًا؛ أي: أحاطوا به ومنعوه من المضِيِّ. يقال: حَصَرَهُ العدو في منزله؛ أي: حَبَسَه، وأَحصَرَهُ المرضُ: مَنَعَه من السَّفَر. يراجع: الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، د. ط.، ج1، باب الحاء مع الصاد وما يثلثهما، ص138.

(5)– محمد بن عليش ، **منح الجليل شرح مختصر خليل**، د. ط.، ج 3، ص 135.

(6)– تجدر الإشارة إلى أنَّ الجهاد إذا أطلق – في عرف الشرع – فالمراد به دعوة الكفار إلي الإسلام وقتالهم عند عدم الانقياد لدين الله تعالى. يقول الكمال بن الهمام – رحمه الله –: "الجهاد ... غلبَ في عرفهم على جهاد الكفار، وهو دعوتهم إلى الدين الحق، وقتالُهُم إنْ لم يقبلوا". ولذا عرَّفهُ ابن حجر–رحمه الله– بأنه: "بذلُ الجهدِ في قتال الكفار". كما يُعَرَّف بأنه: "الدعاءُ إلى الدين الحق، وقتالُ مَن لم يقْبَلْهُ". يراجع: ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، د.ط.، ج6 ص3، والكمال بن الهمام، **فتح القدير**، د. ط.، ج5، ص435، وابن عابدين، **رد المحتار على الدر المختار**، ط2، ج4، ص121.

[7]– يعرَّف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – الجهاد بمفهومه الواسع بأنه: "صرف القوى الروحية، والعقلية، والفكرية، تظاهرها القوى المادية، إلى تحقيق غرض مما ينفع الناس". يراجع: الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1،ج4، ص306.

[8]– يمكن أن يلحق بذلك قسما خامسا، وهو الجهاد بالمال. يقول محمد البشير الإبراهيمي –رحمه الله– "الجهاد بالمال ... قرين الجهاد بالنفس، بل هو مُقَدَّم عليه في كتاب الله العزيز" يراجع: الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1،ج4، ص222.

[9]– القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج8، ص152، والعبدري، **التاج والإكليل لمختصر خليل**، ط1، ج4، ص 526.

[10]– يَنْطُفُ: يَسِيل. يُقال: نَطَفَ الماءُ ينْطُفُ: أي: سالَ. ويُقال: نَطَفَتْ القِرْبةُ تَنْطُفُ وتَنْطِفُ نَطَفَانًا: إذا قَطَرَتْ. يراجع: الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، د. ط.، ج2 باب النون مع الطاء وما يثلثهما، ص611.

[11]– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1،ج5، ص83.

[12]– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1،ج4، ص307.

[13]– سورة الصف، الآيات 10 – 13.

[14]– الشوكاني، **فتح القدير**، ط1، ج5، ص 365.

[15]– القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج18، ص88–89.

[16]– الشوكاني، **فتح القدير**، ط1، ج5، ص 365.

[17]– سورة التوبة، جزء من الآية 123.

[18]– تَحَيّفَ: جارَ وظَلَمَ. يُقال: حافَ يحِيفُ حَيْفًا: جارَ وظَلَمَ، وهو حائفٌ أي: ظالم، والجمع: حُيَّفٌ. يراجع: الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، د. ط.، ج1، باب الحاء مع الياء، وما يثلثهما، ص159.

[19]– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1،ج4، ص307.

[20]– سورة المعارج، الآيات 19–21.

[21]– ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، ج8، ص240.

[22]– القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج18، 290.

[23]– سميح عاطف الزين، **معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة**، د.ط.، مج1، ص154–155.

[24]– سورة المعارج، الآيتان 22–23.

[25]– القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج18، ص291.

(26)– الشوكاني، **فتح القدير**، ط1، ج5، ص350.

(27)– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1، ج4، ص307.

(28)– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1، ج4، ص307.

(29)– محمد إبراهيم سليم، **التداوي بالصيام**، د. ط.، ص79.

(30)– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1، ج4، ص308.

(31)– محمد إبراهيم سليم، **التداوي بالصيام**، د. ط.، ص79.

(32)– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1، ج4، ص308.

(33)– محمد إبراهيم سليم، **التداوي بالصيام**، د. ط.، ص87– 88.

(34)– سورة البقرة، الآية 183.

(35)– البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ط1، ج1، ص314.

(36)– محمد إبراهيم سليم، **التداوي بالصيام**، د. ط.، ص79.

(37)– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1، ج4، ص307 – 308.

(38)– محمد إبراهيم سليم، **التداوي بالصيام**، د. ط.، ص87.

(39)– الشِّعْبُ بالكَسْر الطريق، وقيلَ: الطريقُ في الجَبَل، والجمع شَعَاب. يراجع: الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، د. ط.، ج1، باب الشين والعين وما يثلثهما، ص313.

(40)– العَرَض: مَتَاعُ الدُّنيا. يراجع: الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، د. ط.، ج2 باب العين والراء وما يثلثهما، ص402.

(41)– الأُحْدُوثة: ما حُدِّثَ به. والأُحْدُوثة: الأُعْجوبة. يُقال: قد صارَ فلانٌ أُحْدُوثة. يراجع: ابن منظور **لسان العرب**، ط3، ج2، باب الثاء، فصل الحاء، ص133.

(42)– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1، ج4، ص307 – 308.

(43)– سورة آل عمران، الآية 13.

(44)– الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط1، ج6، ص233.

(45)– الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط1، ج6، ص243.

(46)– سورة الأنفال، الآيتان 47 – 48.

(47)– الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط1، ج13، ص578.

(48)– الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط1، ج13، ص581.

(49)– ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، ج 4، ص63.

(50)– الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط1، ج13، ص11– 12.

(51)– واهنة: ضعيفة. يقال: وَهَنَ يَهِنُ وَهْنًا: ضَعُفَ، فهو واهنٌ في الأمر، والعمل، والبَدَن. يراجع: الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، د.ط، ج2، باب الواو مع الهاء وما يثلثهما، ص674.

(52)– سورة الأنفال، الآيتان 65 – 66.

(53)– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1، ج5، ص85.

(54)– ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، ج 4، ص76.

(55)– الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط3، ج15، ص 504 – 505.

(56)– المُستسّرة: الخَفيّة. يُقال: استَسَرَّ القَمَر؛ أي: خَفِيَ. يراجع: ابن منظور، **لسان العرب**، ط3، ج4 باب الراء، فصل السين، ص357.

(57)– المراد بيوم فلسطين، أي: الحرب المُسَمَّاة بحرب فلسطين عام 1948، وهي الحرب التي دارت بين المسلمين العرب تحت القيادة المصرية وبين اليهود في عام 1948، والتي انتصر فيها اليهود مع قلتهم على المسلمين العرب مع كثرتهم، وكان من آثار هذه الهزيمة، إعلان اليهود لدولتهم السرطانية في أرض فلسطين في مايو من العام نفسه.

(58)– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1، ج5، ص84 – 85.

(59)– سورة الروم، جزء من الآية 47.

(60)– الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط3، ج25، ص 108.

(61)– ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، ج6، ص289.

(62)– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1، ج3، ص443.

(63)– الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ط1، ج3، ص470.

(64)– سورة النور، الآية 55.

(65)– البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ط1، ج2، ص425.

(66)– سورة البقرة، الآية 45.

(67)– ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج1، ص251.

(68)– ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج1، ص251–252.

(69)– سورة هود، الآية 114.

(70)– القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج9، ص110.

(71)– الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط1، ج15، ص509.

(72)– الدَّرَنْ: الوَسَخُ. يراجع: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، د. ط، ج3، ص115.

(73)– الخطايا: مفرد خطأ وهو الذنب والإثم. يراجع: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، د.ط ج2، ص44.

(74)– متفق عليه. أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما واللفظ للبخاري. يراجع: البخاري، **صحيح البخاري**، ط1، ج1، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: الصلوات الخمس كَفَّارة، الحديث رقم (528) ص112، ومسلم، **صحيح مسلم**، د.ط، ج1،كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل الصلوات الخمس، الحديث رقم (667)، ص413.

(75)– ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ط2، ج2، ص157.

(76)– القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ط7، ج1، ص484.

(77)– سورة الإسراء، الآية 82.

(78)– الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط3، ج21، ص390.

(79)– ابن كثير، **تقسير القرآن العظيم**، ط1، ج5، ص103.

(80)– سورة فصلت، الآية 44.

(81)– القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج15، ص369.

(82)– الشَّطَنَيْن مفرد شَطَنْ، والشَّطَن: الحَبْلُ. وقيل: هو الطويل منه. وإنما شَدَّهُ بشَطَنَيْن لقوته وشَدَّتِه. يراجع: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، د. ط.، ج2، ص475.

(83)– تغشّته سَحابة: أي: عَطَّته. غَشَّاهُ تَغشية إذا غَطَّاه. يراجع: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، د. ط.، ج3، ص369.

(84)– يَنْفِرُ: يَفِرُّ. يقال: نَفَرَ يَنْفِرُ نُفورا ونِفَارا: إذا فَرَّ وذهب. يراجع: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، د. ط، ج5، ص92.

(85)– السَّكِينة: الوَقَار والسُكون. والتأني وقيل: الرحمة. يراجع: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، د. ط، ج2، ص385–386.

(86)– متفق عليه. أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما واللفظ لمسلم. يراجع: البخاري، **صحيح البخاري**، ط1، ج4، كتاب: المناقب باب: علامات النبوة في الإسلام، الحديث رقم (3614) ص201، ومسلم، **صحيح مسلم**، د. ط، ج1،كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: تنزيل السكينة لقراءة القرآن، الحديث رقم (795)، ص547.

(87)– النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط2، ج6، ص81.

(88)– رواه مسلم في صحيحه. يراجع: **صحيح مسلم**، د.ط، ج4، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، الحديث رقم (2699)، ص 2074.

(89)– النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط2، ج17، ص21.

(90)– سورة الأنفال، الآية 45.

(91)– القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج8، ص 22–24.

(92)– سورة الرعد، الآية 28.

(93)– القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج9، ص315.

(94)– ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج4، ص455.

(95)– سورة طه، الآيتان 123، 124.

(96)– القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج11، ص258–259.

(97)– سورة النحل، من الآية 97.

(98)– الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط3، ج22، ص111.

(99)– رواه البخاري. يراجع: البخاري، **صحيح البخاري**، ط1، ج8، كتاب: الدعوات، باب: فضل ذكر الله عز وجل، الحديث رقم (6407)، ص86.

(100)– القُدْسُ هو الطّهْرُ، والأرضُ المقَدَّسةُ : المطَهَّرَةُ، وتقدَّسَ الله تَنَزَّهَ، وهو القُدُّوس. يراجع: الفيومي **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، د ط، ج2، باب القاف والدال وما يثلثهما، ص 492.

(101)– المُخْدَعُ: بَيْتٌ صغيرٌ يُحْرَزُ فيه الشيءُ مأخوذٌ مِن أَخْدَعْتُ الشيءَ إذا أخفيتُهُ. يراجع: الفيومي **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، د.ط، ج1، باب الخاء والدال وما يثلثهما، ص165.

(102)– القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ط7، ج9، ص 231.

- **مراجع الدراسة**

- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجَزَري، المتوفى سنة (606هـ)، (1399هـ–1972م). **النهاية في غريب الحديث والأثر**، د. ط.، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية.
- الألباني، محمد ناصر الدين، المتوفى سنة (1420هـ). (1421هـ–2000م). **صحيح الترغيب والترهيب، خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعلمها أصحابه** ط1، الرياض: مكتبة المعارف.
- الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر، المتوفى سنة (1385هـ). **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، المتوفى سنة (256هـ)، (1422هـ). **صحيح البخاري** ط1، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دمشق، دار طوق النجاة.
- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خَلَف بن عبد الملك، المتوفى سنة (449هـ)، (1423هـ-2003م). **شرح صحيح البخاري**، ط2، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، السعودية الرياض، مكتبة الرشد.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفَرّاء الشافعي، المتوفى سنة (510هـ). (1420هـ). **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرازق المهدي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، المتوفى سنة (852هـ). (1379هـ). **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، د.ط، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي إشراف: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت، دار المعرفة.
- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، المتوفى سنة (666هـ). (1420هـ- 1999م). **مختار الصحاح**، ط5، تحقيق: يوسف الشيخ محمد بيروت- صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية.
- الزين، سميح عاطف، (1411هـ - 1991م). **معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة** د. ط.، بيروت، دار الكتاب اللبناني.
- سليم، محمد إبراهيم، (1411هـ-1991م). **التداوي بالصيام**، د.ط، القاهرة، دار ابن سينا.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، المتوفى سنة (1250هـ)، (1414هـ - 1994م). **فتح القدير**، ط1، دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، المتوفى سنة (310هـ) (1420هـ - 2000م). **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1 بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، المتوفى سنة (1252هـ). (1412هـ- 1992م). **رد المحتار على الدر المختار**، ط2، بيروت، دار الفكر.

- العبدري، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي الغرناطي، المتوفي سنة (897هـ)، (1416هـ – 1995م). **التاج والإكليل لمختصر خليل**، ط1 بيروت، دار الكتب العلمية.
- عليش، محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله المالكي، المتوفي سنة (1299هـ)، (1409هـ – 1999م). **منح الجليل شرح مختصر خليل**، د. ط.، بيروت، دار الفكر.
- الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، المتوفي سنة (606هـ). (1420هـ). **مفاتح الغيب**، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الحَموي أبو العباس، المتوفي سنة (770هـ). (د. ت.). **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، د. ط.، بيروت، المكتبة العلمية.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين المتوفي سنة (671هـ). (1384هـ– 1964م). **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة، درا الكتب المصرية.
- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القُتيبي المصري أبو العباس شهاب الدين، المتوفي سنة (923هـ)، (1323هـ). **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ط7، مصر المطبعة الأميرية الكبرى.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، المتوفي سنة (774هـ). (1419هـ). **تفسير القرآن العظيم**، ط1، تحقيق: محمد حسين شمس الدين بيروت: دار الكتب العلمية.
- الكمال بن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، المتوفي سنة (861هـ). (د.ت). **فتح القدير**، د. ط.، بيروت، دار الفكر.
- مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفي سنة (261هـ)، (د. ت.). **صحيح مسلم**، د. ط.، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مُكَرَّم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حنيفة، المتوفي سنة (711هـ)، (1994). **لسان العرب**، ط3، بيروت، دار صادر.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف، المتوفي سنة (676هـ). (1392هـ). **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي.